نَظّارَاتُ الْجَدّة

أم عبد الرحمن

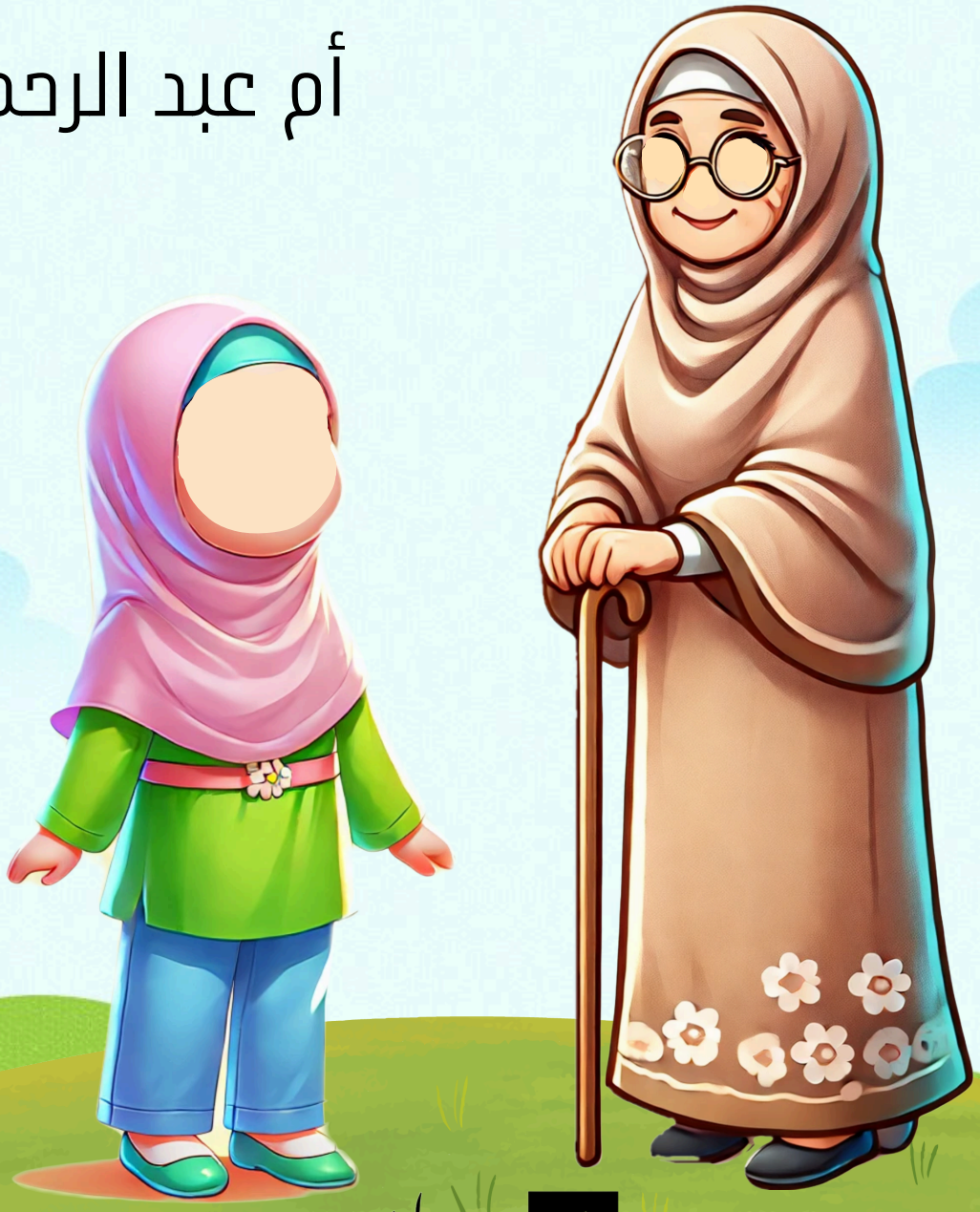

جيل الخلافة
مكتبة الطفل لجيل الخلافة

@JEELALKHELAFA

جيل الخلافة

مكتبة الطفل لجيل الخلافة

نَظَّارَاتُ الْجَدَّة

أم عبد الرحمن

"هِدَايَةُ" طِفْلَةٌ فِي السَّادِسَةِ مِنْ عُمُرِهَا، لَدَيْهَا جَدَّةٌ مَلَأَ شَعْرَهَا الشَّيْبُ تُدْعَى "حَكِيْمَةُ" وتَرْتَدِيْ نَظَّارَاتٍ مُسْتَدِيْرَةً.

"هِدَايَةُ" تَتَعَجَّبُ مِنْ طَبْعٍ فِي جَدَّتِهَا، وَهُوَ أَنَّ مَلَامِحَهَا لَا تَتَغَيَّرُ لِسَخَطٍ، أَوْ حُزْنٍ، أَوْ حِقْدٍ، أَوْ اعْتِرَاضٍ، أَوْ صُرَاخٍ وَبُكَاءٍ شَدِيْدٍ.

قَطْعًا لَيْسَ فِيْ كُلِّ شَيْءٍ! فعِنْدَمَا كَذَبَتْ "هِدَايَةُ" عَلَى أُمِّهَا لِأَنَّهَا خَائِفَةٌ أَنْ تَحْزَنَ لِكَسْرِهَا آنِيَةَ الزُّهُوْرِ، لَمْ يُعْجِبْ هَذَا الْفِعْلُ الْجَدَّةَ "حَكِيْمَةَ"،

وَأَخْبَرَتْهَا أَنَّ الكَذِبَ حَرَامٌ

وَمَنْ أَكْثَرَ الْكَذِبَ كَتَبَهُ اللهُ عِنْدَهُ كَذَّابًا، فَلَمْ تُكَرِّرْهَا "هِدَايَةُ" وَتَابَتْ.

وَفِي تِلْكَ المَوَاطِنِ وَجَبَ عَلَى الجَدَّةِ الأمْرُ بِالمَعْرُوْفِ والنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ، وَقَدْ ضَايَقَهَا خَطَأُ "هِدَايَة" فِي تَجَاوُزِ حُدُوْدِ الْخَالِقِ، وَهَذا بَدِيهِيٌّ لِهِدَايَة،

فَعِنْدَمَا يُخطِئُ المَرْءُ فِي حَقِّ بَارِئِهِ يَجِبُ أنْ يَحزَن ويَندَمَ وَيَتُوْبَ.

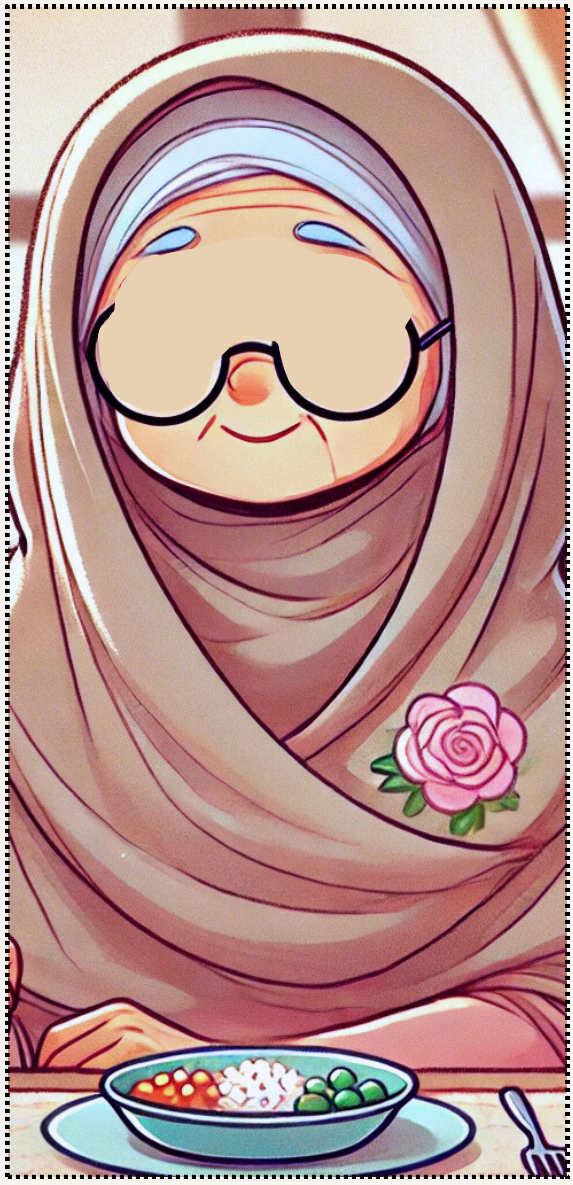

وَهَكَذَا الجَدَّةُ إن أذْنَبَت تَابَتْ واسْتَغفَرَت وَنَدِمَت، لَكِنَّها مَا كَانتْ تَجْزَعُ أوْ تَحْزَنُ إلَّا فِي تِلكَ المَوَاقِف! أمَّا عِنْدَ أُصِيبَتْ بِمَكْرُوْهٍ فِي الدُّنْيَا وَبَعِيدًا عَنِ الدِّينِ مَا كَانَت تَقُوْلُ إلَّا جُمْلَةً وَاحِدَةً:

"الحَمْدُ لِله"

كمِثَالٍ: عِندَ تَلَقِّيهَا خَبَر وَفَاةِ ابْنِهَا الوَحِيدِ حَمَدَتِ اللهَ ودَعَتْ لَهُ بالرَّحْمَةِ وَدُمُوْعُهَا الْهَادِئَةُ تَسِيلُ عَلى وَجْنتَيْهَا بِهُدُوْءٍ.

وَعِنْدَمَا يُبْصِرُ النَّاسُ حَمْدَهَا وَصَبْرَهَا الدَّائِمَيْنِ مَعْ كُلِّ نَازِلَةٍ يَقُوْلُوْنَ:

"اللهُمَّ بَارِك! نَظَّارَاتُهَا رَائِعَةٌ، تَرَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَيْرًا، نَسْأَلُ اللهَ مِنْ فَضْلِهِ".

الذِيْ لَفَتَ انْتِبَاهَ "هِدَايَة" فِي كَلَامِهِمْ هُوَ "نَظَّارَاتُهَا التِي تَرَى كُلَّ شَيْءٍ خَيْرًا"، يَجُوْلُ فِي بَالِهَا سُؤَالٌ مُلَازِمٌ: "هَلْ نَظَّارَاتُ جَدَّتِي أَثَرِيَّةٌ تَجْعَلُ النَّاسَ دَائِمِي الرِّضَا، ويُوجَدُ مِنْهَا نُسْخَةٌ وَاحِدَةٌ فَرِيدَةٌ عَنِ النَّظَّارَاتِ الأُخْرَى؟!"

دَفَعَ هَذَا التَّسَاؤُلُ هِدَايَةَ إِلَى سُؤَالِ جَدَّتِهَا عَنْ قَوْلِهِمْ ذَاكَ، فَتَبَسَّمَتْ بِوَجْهِهَا وَرَقَّتْ عَيْنَاهَا اللَّامِعَةُ، وَأَشْفَتْ فُضُوْلَ حَفِيدَتِهَا وهِيَ تَقُوْلُ:

"مَاْ عَنَوْهُ يَاْ رَيْحَاْنَتِي هُوَ نَظَّاْرَاْتِي وَنَظرَاْتِي المَعْنَوِيَّةُ التِي أَرَى بِهَا الحَيَاْةَ، أَيْ تَفْكِيْرِي وَقَنَاعَاتِي، فَهِيَ نَظرَاتُ الفَأْلِ الحَسَنِ والأَمَلِ، والرِّضَا والاطْمِئْنَان، ولَمْ يَقْصِدُوا نَظَّارَاتِيَ التِي أَرْتَدِيهَا لِضَعْفِ بَصَرِي".

تَفَكَّرَتْ "هِدَايَةُ"، وطَلَبَتْ مِنْ جَدَّتِهَا "حَكِيْمَة" أنْ تَحْكِي لَهَا مَزِيدًا عَنْ هَذَا الأمْرِ.

رَدَّتِ الجَدَّةُ وَابْتِسَامَتُهَا الرَّقِيقَةُ تُزَيِّنُ ثَغْرَهَا:

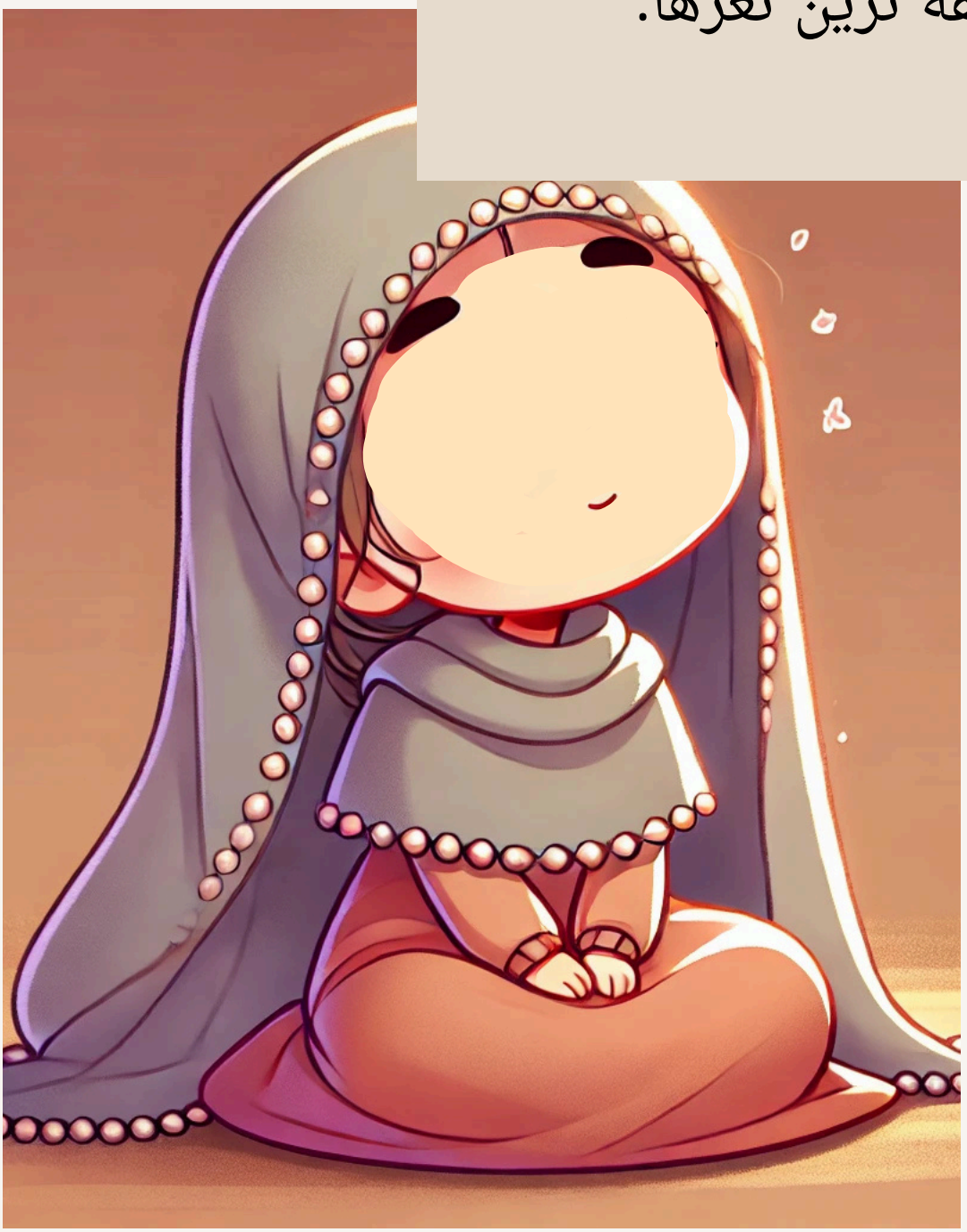

"أَبْشِرِي! إِنَّ نَظْرَتِي لِهَذِهِ الدُّنْيَا بِأَنَّها بِلَا قِيمَة وَلَا وَزْن لَهَا عِنْدِي، فَمَهْمَا حَصَلَ لِي مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ لَمْ يُؤَثِّرْ فِيَّ؛ فَهَذِهِ الدَّارُ دَارُ تَعَبٍ وَمَشَقّة، تُفْرِحُكِ يَوْمًا وَتُبْكِيكِ أَيَّامًا، فَانِيَةٌ مُرُورُهَا سَرِيعٌ، أَفَلَا نَسْتَغِلُّهَا فِي طَاعَةِ اللهِ والتَّزَوُّدِ للآخِرَةِ وَنُشَمِّر عَنْ سَوَاعِدِنا لِنَنَالَ الدَّرَجَاتِ الرَّفِيعةَ عِنْدَ الرَّحمنِ الذِي خَلَقَنَا لِعِبَادَتِهِ؟!

وَهَذَا دَأْبُ العَارِفِينَ الأَخْيَارِ يَا رَيْحَانَتِي، أَسْأَلُ اللهَ أنْ يَجْعَلَكِ مِنْهُم".

مكتبة الطفل لجيل الخلافة